

# القصة الدائمة

ان العلاقة المباشرة ، الاكثر طبيعية ، والاكثر ضرورة للكائن البشري مع نظيره ، هي علاقة الرجل بالمرأة .. ففي هذه العلاقة يتوضح ، ايضا ، الى اي حد يصبح احتياج الرجل احتياجا انسانيا ، والى اي حد الانسان الآخر ، بما هو انسان ، يصبح بالنسبة له ، حاجة .. كما يتوضح الى اي حد يكون المرء ، في وجوده الاكثر فردية ، كائنا اجتماعيا في نفس الوقت .. وبالامكان ، على ضوء هذه العلاقة ، ان نصدر حكما عن درجة تطوره البشري .

كارل ماركس

مخطوطات ١٩٤٤

## اربعة اعوام

قريبا تكتمل اعوام اربعة  
منذ انتزعوني منك  
من رفاقي  
ومن شعبي

قيّدوني

أخرسوا صوتي  
عصبوا عيني

منعوا أشعاري

اسمي

نفوني الى جزيرة صغيرة  
من الاسمنت والصدأ

الصقوا رقما على ظهر غيابي  
حرموني من الكتب التي أحب  
من الاخبار والموسيقى

ربع ساعة كل أسبوع لرؤيتك  
عبر اسلاك مفصولة بمر  
ولا يزالون هنا  
يمتصون دم حديثنا  
واضعين مقياس الوقت  
موضع الدماغ .

## ثورات

اربعة اعوام  
كوكبنا قطع مسافات

لم يكتف بالدوران حول نفسه  
او حول الشمس  
كانت ثوراته انسانية ايضا  
والربيع تحرر  
في كثير من مناطق العواصف  
حيث كانت الشمس في يأس  
اذ يتحتم عليها ان تضيء  
كل صباح  
الشفاه المتهدلة البشعة  
لافاعي نهارية  
تولج كلابها  
في نسغ حلوق  
مولودات النهار الجديدة .

## ربيع دائم

حدث ان تكلمنا  
في مرح  
عن الشعرات البيضاء عثرت عليها  
في رأسك  
وعن صدغيّ يخطهما الشيب  
عن منعرج الثلاثين تجاوزناه  
دون ان ننتبه  
عن تفكيرنا في تيار الزمن  
يهدر ويتمطى عند أرجلنا  
ونحن نحلّق فوقه  
نتحكم فيه  
بيقظتنا  
لا ندع له مجالا ليفمرنا

كنت اقول لك  
ولا ازال

الزمان لا يقرض  
سوى قشرتنا الخارجية  
وجزره لن يحمل  
الا رواسب نقائصنا العتيقة  
وموجه سيروي دوما  
جذور ربيعنا الدائم .

## احتفال الوفاق

جئت

في عزّ الاعصار  
تقدمت نحو القضبان  
بسماتنا كلمات الترحيب  
امتزجت

مشعلين يحومان في الليل كنا  
يرسمان صلبانا  
لوالب  
لجلسات سرية متلاشية  
ثم تشرق شمس في داخلنا  
آتية من أرخبيلات مندثرة او مجهولة  
ناديناها بصوت مرتفع  
تعرفنا على ملامحها  
عبر هذه المسيرة الطويلة  
حيث تتجمع واجهتنا البشرية .  
كنت تكلميني  
وبدا نبض جديد يدق في صدري

باحثا عن تناغم مع نبضي  
سرعان ما التقط ايقاعه  
ساوقه التحم به  
كنت تكلميني  
لكن حديثك كان همسا  
ينبعث من تلك الصباحات  
صباحات الامتلاء  
وعيناك تستجوبان الربيع المتجول  
من خلل الايقاع والعبير  
يلتفّ حول قامتك .

كنت تكلميني  
ويدك الممتدة فوق القضبان  
تولد من جديد داخل يدي  
في البداية دفء  
ضغط بسيط  
ثم راحة اليد اصابع حقيقية  
تتطابق مع اصابعي .

كنت تكلميني  
وكان عليّ أن اجيبك  
لكن من كان يتكلم مع من ؟  
حوارنا كان له صوت  
الحنان اللاتجزأ .

كنا نتكلم  
ثم نتوقف  
لتؤكد عيوننا كلماتنا  
لتلمعها بالملاطفات  
كانت القضبان تتلاشى  
والسقف ، فجأة ، يطير  
بعيدين بعيدين كنا  
عن الميدان المحاصر  
وخلفنا تتوالى  
سحائب تلك الشمس  
وفواكه الحرية المقطوفة  
من شجرة وفاننا .

### بوقة القصيدة

كم أود أن أشرح لك  
لماذا  
منذ وضعوني هنا

أقل شيء يحرك أعماقي  
وأبسط منظر غير معتاد  
وأقل مظهر للحياة  
سألتك مرات

إذا لم أكن غدوت مفرط الحساسية  
إذا لم أكن ضحية  
لهذا المشروع الصياني  
يرهبونا به  
أعرفه جيدا  
من كثرة ما وصفت لك خيوط  
نسيجه الكبير

وكل مرة تؤكدين  
لن تصير أبدا « سجيناً »  
ومن الطبيعي أن تفتتن  
بكل ما تفتقده .

تذكرين  
تلك الحمامة التي اعتادت  
أن تنزل الى باحة دارنا  
الحمامة التي وصفت لك مشيتها  
ريشها المبرقش اللامع عند الجناحين  
والعين المدورة  
تسيل كفضة متلألئة  
لتذكرني بذلك الحذر القديم  
القائم بيننا وبين الحيوانات .

أو أتذكر  
حيرتي أمام الازهار الاولى  
التي استطفنا أن نوجدها هنا  
زرعناها في أصص من القلب  
واللحظات الطويلة أفضيها

متمليا اياها  
متتبعا تخطيطات الرسوم  
باحثا عن مراكز الالوان  
عن مساحات اختلاطها  
عن التقاء تأثيراتها المتبادلة  
وكيف كنت أمدّ اصبعي للاطف  
تويجبة  
واتتبع استدارتها ...

أو أتذكر تلك اللحظات  
أرصد خلالها تحليق الخطاطيف  
كأقواس قديمة جميلة أو كهالين

تؤوب مطمئنة الى أعشاشها  
تصأصء بعصبية  
كانها تطلب اخلاء الطريق .

أحيانا أخرى  
أطلع الى السماء  
محيط السجين  
حيث السحب تتعاقب  
فتكون :  
طائرات ثقيلة هاربة من سفن -  
قراصنة

أو تنين - بحارة في الاساطير  
تشرع أفواهها  
أو رجالا عراة مفتولي العضلات  
في الرسوم الايطالية  
يحلقون هناك - فوق  
مجنحين كما في الاصول المجزعة  
للنوحات .

سيكون مضجرا  
أن أسرد كل افتتاحاتي  
وذلك الرعب السعيد يحركني  
تجاه الجمال المهمل

لماذا اذن هذه المغنطة  
وأنت تعلمين  
أنني « عصي الدمع »  
وأنني ، حتى وأنا « طليق »  
كنت أنظر بعين هادئة  
الى جميع الالطاف التي كانت تغمرنا ؟

جوابي بسيط  
فكرت فيه قليلا  
داخل قيودي :  
الامر القائم يحيط به ضمور  
لكن الواقع  
ذلك الاساس المتحرك  
المبحر باستمرار  
نحو أشكال مرتفعة من الذكاء  
هو العضو الذي يسمح للخيال أن  
يتفتح  
أن يلتقط الاشارات والقوى الجوهرية  
يتيح للقصيدة

حمل هذا الواقع المحور  
من العضو الى سائر البدن  
ها أنت ترين اذن  
تلك الحمامة تلك الازهار  
ذلك الخطاف تلك السحب  
كلها كانت البوتقة  
تخترقها القصيدة  
عبر ألف عائق وممنوع  
لتلتحق بالحياة وتوجه دفتها .

### بدعة

هل تعرفون  
آخر بدعي ؟  
قد لا تصدقون  
فأنا اغني الحب السعيد .

### ليس للشمس وطن

أحيانا  
أوه ، نادرة  
لا تقوين على الاحتمال  
دوامة اليومي  
التآكل الظاهر والخفي  
وذلك الفراغ الممتد حولك  
يرسم دائرته جبن البعض  
والصحراء الداخلية لبعض آخرين .  
فكانت دموعك تنهمر  
خارج ارادتك  
لكن سرعان ما تعود الابتسامة  
لترفع قبضتك المغلقة  
قبل الوداع .  
في تلك اللحظات  
كانت الحيرة تمزقني  
وكان نموذج دائم للامل  
يعاود فكري  
نموذج تلك النسوة في حقول الارز  
يحملن عاليا اليوم  
القبة الزرقاء لهوشي مينه  
كان يقول عنهن  
لم يسبلن الدمع قط  
وهن يحملن التراب

يفرسن الارز  
يحصدن تحت القنابل  
لكن دوما كنّ يتعبن  
مترصدات السماء  
وطيور الفولاذ والمذبحة  
وكنّ يرصدن أكثر  
الشمس الحمراء  
للانتصار المحقق .

نحن أيضا نخوض ما يشبه الحرب  
علينا أن نساندها  
هي اقل تدميرا  
لكن قد تتطلب حذاقة اكثر  
نحن أيضا  
نرصد سماءنا ووعودها  
عندئذ تسلمين معي  
بأننا سنكون الاقوياء دوما  
فالشمس لا وطن لها .

### العصر الذهبي

لن املّ أبدا من التريدي  
ليس العصر الذهبي فيما مضى  
انه فيما سيأتي .

### سميتك العودة

سميتك العودة  
وكمشعل - علم  
أرسلت اسمك في مربع سمائي  
ليكسر الخط المنحني للزمن  
ليخفق عند كل فوحن  
ناشرا حضورك .

### العودة

ستسقم الشجرة  
آلاف الاشجار  
لكن اول شجرة نصادفها  
داخل دائرة النار  
ستكون واحدة من ماء حي وظلال  
ستكون قسط الربيع  
يدخره لنا حنان العالم .

العودة  
هدية الشمس  
عادت لتفك أيدي المنفى  
وكل الحزم الضوئية  
عن مراياها المتشابهة  
عندئذ تزهو الابتسامة  
تكون أنشودة نشأتها  
ميلادا للوفاق .

### العودة

كل انسان يحمل داخله قدسه  
الخاصة  
لكن قدسنا  
ليست مرفأ للرسو  
تبتعد عنه العاصفة وتقيم  
داخل الذاكرة  
قدسنا مجرد عتبة جديدة  
بعد العناق سننشيء فوقها قافلة  
جديدة  
تتجه صوب أعتاب اخرى من الضياء

### العودة

ستولد المدن  
عند تقاطع الافق  
ستكبر أنهار بشرية  
من صدى الاعمال اليومية  
سيعود الغناء أقوى مما كان  
لبعث ايادينا .

### العودة

اطلقت عليك اسم هذه الشعلة  
- العلم -  
حتى نظل واقفين باستمرار  
مترصدين لا نتعب  
للتغيير  
وحتى اذا جاء اليوم الذي لن يحال  
فيه بينك وبين امتلائي  
نظل محافظين على هذا التعلق المكين  
بالرحلة صوب كل مدن القدس  
الانسانية .

ترجمة : د. محمد برادة